الخطاب النقدي النسوي: مفهومه، خلفياته وحركيته:

1.2. مصطلح النقد الأدبي النسوي: مفهومه وإشكالياته:

اختلفت الآراء النقدية في تحديد مفهوم النقد النسوي وماهيته، ويرجع ذلك حسب إشارة **محمد عناني** إلى أن« النقد الأدبي النسائي من أشد مجالات النقد الأدبي تعقيدا بسبب صعوبة ترجمة مصطلحاته ترجمة كفيلة بتوصيل المعاني المقصودة إلى القارئ العربي » [1]، كما يرى أن اسم هذا المذهب وما اتصل به من مصطلحات نقدية هو أول المشاكل التي تعترض الباحث، إذ يتساءل قائلا:« إذا ترجمت تعبير FEMINIST CRITICISM بالنقد النسائي فماذا عساك تعني؟ هل تعني به النقد الأدبي الذي تكتبه النساء؟ أم تعني به نقد الأدب الذي تكتبه المرأة؟ أم نقد الأدب من وجهة نظر المذهب الذي يدعو إلى تحرير المرأة؟ » [2] .

أمام هذا الإشكال هناك من النقاد من يرى في النقد النسوي ذلك النقد الذي يهتم بدراسة تاريخ المرأة وتأكيد اختلافها عن القوالب التقليدية التي توضع من أجل إقصاء المرأة وتهميش دورها في الإبداع، ودراسة كيفية تأثر المتلقي بالصور الإقصائية والاختزالية للمرأة [3]، بالإضافة إلى اهتمامه بقراءة الأدب في عمومه « ويتبع ما فيه من صور لكل من الرجل والمرأة بغية الكشف عما فيه من الانسجام مع الإيديولوجيا الأبوية والاختلاف » [4]، غير أن هذا الرأي

يظهر محدودية هذا النقد، لأنه يحصره فقط في دراسة القوالب التّقليديّة لصورة المرأة، وكيف يتحيز النقاد الرجال للرجل الكاتب على حساب المرأة، بالإضافة إلى أنه يغفل عن معرفة شعور المرأة وما تحس به وتعايشه، وكذا عدم تركيزه على النصوص التي تكتبها المرأة ذاتها.

---

(1) محمد عناني، المصطلحات الأدبية الحديثة(دراسة ومعجم إنجليزي – عربي)، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، مصر، ط3، 2003، ص180.

(2) المرجع نفسه ، ص181.

(3) ينظر، سارة جامبل، النسوية وما بعد النسوية، ترجمة: أحمد الشايب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، دط، 2002، ص338.

(4) إبراهيم محمود خليل، في الرواية النسوية العربية، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2007، ص08.

وبناء عليه تقدم **إلين شوالتر ELAINE SHOWALTER**[5] مفهوما آخر للنقد النسوي حيث ترى أن موضوعاته هي تاريخ الكتابة بقلم المرأة وأساليبها وموضوعاتها والأجناس الأدبية التي تستخدمها، وبنياتها والآليات النفسية للإبداع النسائي، ومسار العمل على المستوى الفردي أو الاجتماعي وتطور قوانين التقاليد الأدبية النسائية[6]، فالنقد الأدبي النسوي حسب رأيها هو النقد الذي يركّز على المرأة من خلال تناول نصوص تكتبها المرأة بنفسها، وكذلك متابعته لدورها في إغناء الأدب، وكذا البحث في خصائصه الفنية.

كما تؤكد **باتريشا سباكس PATRICIA SPACKS** على أن النقد النسوي، هو ذلك النقد الذي يهتم اهتماما كبيرا بطبيعة التجربة الأنثوية داخل النص [7]، ووفق هذه المعطى تعد التجربة الأنثوية في منظور الناقدات معلما مهما من معالم الأدب النسائي، فالخوض في أمور ذات صلة بالمرأة كالزواج، والأمومة، والعذرية، والاغتصاب، ورعاية المنزل، هو ما توصي به الناقدات في النص الأدبي، ولكن هذا ليس على حساب القضايا الأخرى المتعلقة بالحياة.

ولهذا السبب تجعله **ماريا إلينا هولي MARIA ELENA HOLLY** « خطوة مبدئية لصياغة إستيطيقا[8] أدبية نسوية وتطويرها، إستيطيقا تؤسس لقطيعة كاملة مع كل معايير القيم الذكورية المُتسيّدة، وذلك يجعلها تقيم الأدب وتحلله من منظور الحياة الأصيلة للمرأة /الأنثى، وعليه فما النقد الأنثوي إلا مرحلة /خطوة على طريق تطوير النقد الأدبي، وهـو بذلك يدل على

---

(5) ناقدة وناشطة نسوية أمريكية، وهي واحدة من مؤسسي النقد الأدبي النسوي في الولايات المتحدة الأكاديمية، ويعزى إليها الفضل في تطوير مفهوم وممارسة gynocritics.

(6) ينظر، ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي(إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط3، 2002، ص331.

(7) ينظر، جانيت تود، دفاعا عن التاريخ الأدبي النسوي، ترجمة: ريهام حسين إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2002، ص15.

(8) الاستيطيقا: يقصد بها علم الجمال، وهي فرع من فروع الفلسفة الذي يهتم بطبيعة الجمال والفن والذوق، وأيضا إبداع وتقدير الجمال.

أننا نحن معشر النساء قد بدأنا ننظر لذواتنا ولثقافتنا نظرة جدية تماما » [9]، فالنقد النسوي كما تراه الناقدة يعد رفضا لكل الآراء التي قالت بها السلطة الذكورية حول المرأة، كما أنه يساعد في تطوير النقد الأدبي عموما من خلال تخليصه من التمييز الجنسي بين المبدعين.

ويتّسع مفهوم النقد النسوي عند **حفناوي بعلي**، إذ يُصنّفه على أنه « فرع من النقد الثقافي الذي يركّز على المسائل النسوية، وهو الآن منهج في تناول النصوص والتحليل الثقافي بصفة عامة » [10]، ويدعمه في ذلك **حسين المناصرة** حين يعرف النقد النسوي بأنه منهج وممارسة نقدية يعمد إليها كلا الجنسين فيقول: إنه « خطاب نقدي أو منهج نقدي يتبناه الرجــل

والمرأة دون التفريق بينهما في هذا الجانب » [11]، غير أن هذا الرأي قد شكل جدلا كبيرا بين النقاد، حيث يرى البعض منهم أن النقد النسوي لم يرق بعد ليكون منهجا من المناهج الأدبية، فهو لا يعدو أن يكون مجرد مقاربة أو تيار سياسي واجتماعي.

كما يعرج الناقد على فكرة أخرى مفادها أن النقد النسوي يخالف السياق النقدي الذكوري بعض الشيء، وذلك حين يقول:« يطرح النقد النسوي نفسه– بوصفه منهجا نقديا– على قاعدة أنه رؤية نقدية ثقافية جمالية جديدة، أي أنه نقد يغاير السياق النقدي الثقافي الذكوري المهيمن دون أن يلغي هذا الوصف كون النقد النسوي بإمكانه أن يتحول إلى مناهج: تحليلية، واجتماعـية، وواقعـية، وجمـالية، وبنيـوية، وثقـافية...إلخ » [12]، فهو بهـذه المغـايرة يبحـث في

إشكاليتين أساسيتين، أولهما: قراءة بنية المرأة كذات منتجة للإبداع، وكذات مكتوب عنها في خطابات الذكور، وثانيهما: العودة إلى التراث الثقافي الذكوري واستقراء صورة المرأة فيه من منظور نسوي.

---

(9) مارشيا هوللي، الوعي والأصالة (نحو تأسيس إستيطيقا نسوية)، ترجمة محمد السعيد القن، مجلة فصول، ع65، خريف2004، شتاء2005، ص100.

(10) حفناوي بعلي، مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن(المنطلقات.. المرجعيات.. المنهجيات)، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، بيروت، ط1، 2007، ص109.

(11) حسين المناصرة، النسوية في الثقافة والإبداع، ص141.

(12) المرجع نفسه، ص140.

ندرك مما سبق أن النقد النسوي يعد منهجا في تناول النصوص، وإن كان هناك من الدارسين من يرفض تسمية هذا النقد بالمنهج من قبيل الناقد **بسام قطوس** الذي يعد النقد النسوي « كل نقد يهتم بدراسة أدب المرأة ويتابع دورها في إبداعها ويبحث عن خصائصه الجمالية واللغوية والبنائية » [13]، ويفضل **قطوس** أن يطلق اسم "تيار" أو "اتجاه" على هذا النقد بدل المنهج، معللا ذلك بأن« النقد النسائي والنقد الثقافي لم يرقيا إلى مرتبة المناهج، آية ذلك أننا لم نرها تخضع لمنطق علمي متماسك، ولا تقوم على خلفيات فلسفية واضحة، ولا تقدم مفهومات أدبية محددة في إطار نظري متماسك » [14]، فالنقد النسوي حسب رأيه مجرد تيار ينتصر للمرأة، ويطالب أن تعامل المرأة والرجل على قدم المساوات في مجال الأدب.

يطرح الناقد في السياق ذاته تساؤلا يريد من خلاله البحث عن مدى صلاحية وجود هذا النقد النسوي، فيقول:« هل المناهج النقدية التي تتصف بالعمومية وتنتسب إلى طابعها التكويني يمكن أن تخضع للتجزيء والقسمة فتقبل بهذا الوصف للنقد بأنه "نسائي" أو "ذكوري"؟... وهل تستطيع المرأة أن تتجاهل التراث النقدي الذي كتبه الذكور وتبدأ بنقد يمكن أن تسميه نقدا نسويا؟ » [15].

تأتي الإجابة في رأي معاكس لما يرمي إليه **قطوس** وذلك في رأي **صبري حافظ** الذي يرى أن النقد النسوي قدم إنجازات نقدية ضخمة ترقى إلى مستوى الثورة النقدية التي تستحق من نقادنا ودارسينا النظر والاهتمام، وخاصة في تحليل هذا النقد الجديد للأدب النسائي، وفي بلورة مجموعة من الاستراتيجيات النقدية التي تمكن الناقد من الكشف عن تيارات المعنى التحتية

---

(13) بسام قطوس، المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، مصر، ط1، 2006، ص218.

(14) المرجع نفسه، ص215.

(15) بسام قطوس، المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، ص217.

الرمزية السارية في نصوص المرأة الأدبية وفك شفرات لغتها الإشارية المعقدة [16]، لكن على ما يبدو أن الناقد متحمس جدا للنقد النسوي، ففي حقيقة الأمر لا يعدو أن يكون هذا النقد مجرد ممارسة نقدية، بدليل أنه يرتكز على عدد من المناهج النقدية: كالسيميائية والتفكيكية، ونظريات القراءة والتأويل...إلخ.

نخلص من كل هذه الآراء إلى أن النقد النسوي ممارسة يتبناها الرجل كما المرأة، وهو« يتحرك على محورين اثنين: المحور الأول يقوم على دراسة صورة المرأة في الأدب الذي أنتجه الرجال، والمحور الثاني يقوم على دراسة النصوص التي أنتجتها النساء، ويلتقي المحوران في الواقع عند نقطة واحدة هي هوية المرأة وذاتها SELFHOOD »[17]، كما يتميز النقد النسوي عن باقي النظريات النقدية والمناهج الأخرى بخاصية تشكل فارقا نوعيا، وهي انشغاله بالمسكوت عنه ثقافيا والمتمثل في إبداعات المرأة، « ويرجع ذلك إلى أن المسكوت عنه يمثل فجوات مظلمة في التاريخ الأدبي، يتم إغفالها عمدا من أجل التوصل إلى مجموعة من القيم والمقاييس ثبت بوصفها حقيقة نهائية، وتوظيف لتدعيم وضع قائم ونظام رمزي بعينه، بصرف النظر عن التناقض داخل هذا الوضع أو ذاك النظام ذاته » [18].

إلا أن تسليط الضوء على المسكوت عنه ثقافيا وأدبيا يحتاج إلى جرأة عالية سواء من الكاتبة أو الناقدة النسوية، كما يشترط فيهما النضج الفكري والفني، وكذا امتلاكهما لشروط الوعي لتكسير الحواجز التي تعيق تحررها.

إن تحديد مفهوم أي نظرية أو منهج أو تيار نقدي يتطلب من الباحث أن يتمكن من الجهاز المصطلحي، ويحل إشكالياته قبل الولوج في المعرفة ذاتها، ومصطلح النقد النسوي اكتنفه الكثير من اللبس والغموض نظرا لظهوره بتسميات عديدة منها: النقد النسوي، النقد النسائي، النقد الأنثوي...إلخ، وكل من هذه المصطلحات يحمل مفهوما مختلفا عن الآخر، بل

---

(16) ينظر، صبري حافظ، أفق الخطاب النقدي(دراسات نظرية وقراءات تطبيقية)، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1996، ص249.

(17) عبد العزيز حمودة، الخروج من التيه، عالم المعرفة، الكويت، ع298، 2003، ص269.

(18) حفناوي رشيد بعلي، مسارات النقد ومدارات ما بعد الحداثة(ترويض النص وتقويض الخطاب)، دروب للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2011، ص201.

وفي أحيان أخرى يناقضه.

وقد تداول استعمال مصطلح النقد النسوي FIMINIST CRITICISM في كتابات المرأة التي اهتمت بقضايا المرأة نفسها، وهو يعني تحليل النصوص الأدبية من وجهة نظر المرأة وينطلق هذا النقد من الدفاع عن قضية المرأة وحقوقها، لذلك ينظـر إلى النـصوص التي تكتبها من هذه الزاوية [19]، فقد أطلق مصطلح النقد الأدبي النسوي ويراد به صوت النســاء الذي

يعتمد على الخبرة الجمالية في بحث قضايا المرأة أدبيا والذي ظل مكبوتا ردحا من الزمن داخل المؤسسة الأدبية، وهو يختلف عما هو موجود من مناهج نقدية على الساحة الأدبية.

أما مصطلح النقد النسائي GYNOCRITICISM ورد استخدامه في مقال "النقد النسوي في العراء" 1978 **لإلين شوالتر**، وتقصد به الأعمال النقدية النسوية التي تدرس كتابات المرأة بهدف تتبع التقاليد الأدبية الخاصة بالمرأة على وجه التحديد، وتشير الناقدة إلى أن النقد النسوي بدأ بالقراءات التي تعيد النظر في مجموعة النصوص الأدبية الكلاسيكية المعتمدة، وتطلق على هذه العملية اسم" القراءة النسوية" [20]، وعليه فإن موضوع هذا النقد هو تتبع تاريخ الكتابة بقلم المرأة، ومن ثم رصد المواضيع والحالات النفسية التي تكتب، فضلا عن البحث في التراث الأدبي لاستقراء صورة المرأة.

في هذا السياق تعد مقولة **سيمون دي بوفوار** "المرأة لا تولد امرأة بل تصبح امرأة " من أبلغ المقولات المحيلة إلى وجود فارق بين النسائي والنسوي، فالنقد النسوي يصف الكيفية التي يورد بها الرجل المرأة في نصوصه، ويدرس أيضا كيفية تأثر القارئات بالصور الإقصائية للمرأة، بالإضافة إلى هذا يسعى للكشف عن الخصوصية النسائية الماثلة في الأعمال الإبداعية للمرأة، وبالتالي يتوزع بين دراسة المرأة قارئا والمرأة كاتبا.

فضلا عن هذا فقد راج استعمال مصطلح ثالث، وهو النقد الأنثوي للتعبير عن الإنتاج النقدي الذي تكتبه المرأة، وهو« الذي يعبر عن موقف محدد عقائدي، وينبع من

---

(19) ينظر، المرجع نفسه، ص170.

(20) ينظر، ماجدة سعيد، صورة المرأة في الثقافة العربية(مرويات الجاحظ أنموذجا)، مجلة محاور، ع01، 2004، ص204.

التعلق بما يعتقده صاحبه، أو تعتقده صاحبته بأنه سمات خاصة بالأنثى ورؤياها للعالم وموقفها فيه » [21]،

تكتبه المرأة الناقدة عن الإنتاجات الإبداعية النسائية، ويحمل وعيا مغايرا بميزات خاصة باعتباره ينهض على جسد الأنثى.

لأجل هذا تحثّ **إلين شوالتر** عبر كتابها "النقد النسوي الجديد" 1986 على « تأسيس مبادئ نقدية ترتكز على المرأة، أي تأسيس إطار أنثوي لتحليل أدب المرأة، ووضع نماذج جديدة تستند إلى دراسة الخبرة الأنثوية لا إلى تبني النماذج والنظريات الذكورية »[22]، وهذا النـقد يعج

بالطاقة الأنثوية لأن مصدره أنثى، بالإضافة إلى أنه اكتشاف للذات وبحث عن الهوية الأنثوية التي تسعى المرأة إلى تحقيقها.

---

(21) حفناوي رشيد بعلي، مسارات في النقد ومدارات ما بعد الحداثة(ترويض النص وتقويض الخطاب)، ص169.

(22) سارة جامبل، النسوية وما بعد النسوية، ص199.